مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الأول، ص173– ص201 يناير 2014
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

المرأة في فكر عبد السلام ياسين: قراءة تربوية إسلامية في كتاب "تنوير المؤمنات"

د. سميرة عبد الله سليمان الرفاعي
كلية الشريعة – جامعة اليرموك – الأرد ن

ملخص: هدفت الدراسة إلى بيان فكر الأستاذ عبد السلام ياسين التربوي الإسلامي، في قضية المرأة من خلال كتابه تنوير المؤمنات؛ ولتحقيق الهدف المذكور اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الاستنباطي، الذي يبنى على تتبع فكر الأستاذ عبد السلام ياسين وتحليله من خلال كتابه تنوير المؤمنات، واستنباط الأفكار الرئيسة للقضية محل البحث؛ وتكوين صورة كلية شاملة تتناغم مع فكره الأصيل.

وفي ضوء ما سبق توصلت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات، لعل أبرزها: أن السعادة الزوجية تتحقق بعدة أمور، منها: استقرار مفهوم الزواج الشرعي قبل الإقدام عليه، ومراعاة حق الميثاق الغليظ، وتقديم نظرية المسؤولية على نظرية الحق والواجب والموافقة للوجهة السن

نية في الزواج.وأن المفكر يفرق بين المرأة والزوجة، كما يطرح مصطلحاً استقاه من النصوص الشرعية سماه الزوجة الحافظية.وضرورة مشاركة المرأة للرجل في التغيير والتجديد باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من القوة الجماعية الاقتحامية، وأن لذاك التغيير والتجديد مبادئ، أبرزها: تزكية النفوس، اقتحام العقبة والتدرج. وفي ضوء الاستنتاجات توصي الدراسة بإيلاء عدد من سنن التغيير والتجديد ومبادئه في فكر الأستاذ عبد السلام ياسين بالدراسة والبحث، إذ لم يتسع المقام في البحث الحالي لبيانها جميعاً، ومنها: اعتبار الظروف البيئية في التغيير والتجديد، والجرأة في إدراك الداء وتشخيصه قبل إعطاء الدواء؛ سيما أننا في عصر تعالت فيه أصوات المطالبين بالتغيير والتجديد، وا ن اختلفت مشاربهم وأفهامهم له.

Woman Issue According to The Ideology Of Abdel-salam yassin: Islamic Educational Reading Through his Book "Tanweer El-Muminat"

Abstract: This study aimed at showing the Islamic Educational Ideology of Abdel-salam yassin, in woman issue through his book "Tanweer EL-Muminat" in order to achieve the study purpose, the researcher used the analytical description method and the inferences method, which is based on following and analyzing the reasoning of Abdel-salam yassin through his book "Tanweer El-muminat", and conducing the major ideas of the investigated issue, and forming comprehensive image suitable to his reasoning.

In light of what mentioned, the study reached into asset of conclusions, such as: the family happiness achieved by: the stability of the concept of legislative marriage be fore it has done, looking after the right of the promise, put the responsibility theory before right and obligation theory, agree with sunna trend in marriage. Also, he differentiate between woman and wife,

also, he put a term derived from the legislative texts which he called the conservative wife and the importance of woman engagement with man in changing as apart of group fighting strength. This changing and renewing have some principles, such as: cleaning selves, fighting parallels, in light of these conclusions the study recommends to study and investigate a number of changing and renewing and their principles in Abdel-salam yassin reasoning, since we not show all of them at this paper, such as: considering the environmental conditions in changing and renewing, recognizing the disease and diagnosing it before giving medicine, because we are in the age in which there is are quest for changing and renewing, despite of their different understanding for them.

المقدمة

تقاس قيم المجتمع ومثله بمدى تمثل أفراده لها، مضافاً إليها حصيلة مفكريه، الذين يحاولون ترميم الصورة وتقليص الفجوة القائمة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، بما يطلق عليه ثورات المجددين الفكرية، التي تسعى جاهدة بالعودة إلى الأصل وترك مسارب الانعطاف عنه.

فإذا كان التفكير يعرَّف بأنه: إعمال العقل النشط في المعطيات الحاضرة، الذي يتضمن التأمل والاستنتاج والقدرة على الاختيار وغيرها من عمليات العقل وجولاته؛ فإن الفكر هو النتيجة المترتبة على تلك العمليات، والتي يتوصل بها لتكوين صورة كلية للواقع بكل أبعاده ومستوياته: الاجتماعية، التربوية، الثقافية، السياسية..بغية الارتقاء وا إحداث تغيير إيجابي، في واقع تطلبت معطياته التغيير، تتبلور تلك الصورة على شكل آراء وتصورات ومبادئ ونظريات يقدمها المفكرون.

وعليه يعد الفكر في بعده العميق تربية، إذ الوجود الحقيقي لأحدهما–الفكر والتربية– يتطلب استدعاء الآخر، فكل منهما مشهد من مشاهد الإصلاح الجاد، الذي لا ينفك عنه الضنك، باعتبار الأخير متطلباً إجبارياً لنقد الواقع وصياغته من جديد، تصدى لتلك الصياغة مفكرو كل مجتمع.

وما سبق يتوافق مع ما يؤكده التربويون في رؤيتهم للتربية أنها عملية لا تنفك عن التراث الثقافي لمجتمع معين، وعلى متانة الصلة وقوتها بين سلوك الأفراد وثقافة مجتمعهم وتراثهم ومعتقداتهم(صالح،1988: 49/1)؛ ما يجعل المهمة في العكوف على قضايا الأمة ألصق بمفكريها، الذين يستدعون البينة الأيديولوجية في النظر في قضايا الأمة ومشكلاتها؛ كي لا يضلوا الطريق في حدود زمانه أو مكانه.

ولكل زمان مفكروه الذين حملوا على عاتقهم أمانة المسؤولية أمام أمتهم، فكرسوا حياتهم جهاداً فكرياً، يستلهم من بنيات أفكارهم تجربة الماضي والنقد البناء للحاضر ورؤية المستقبل المقبل، ومن أبرزهم المفكر عبد السلام ياسين، الذي بسط فكره النير في كثير من القضايا التي تمس حاجة

المجتمع وقضاياه، وأبرزها قضية المرأة، التي أفرد لها كتابه: "تنوير المؤمنات" الذي يعد محل الدراسة في هذا البحث.

إن نتاج المفكر كان ولا زالمحط أنظار الباحثين في كثير من الدراسات، والتي أُفر ِد لعدد منها فيما بعد ندوات ومؤتمرات، ومنها المؤتمر العلمي الدولي الأول المعنون بـ(مركزية القرآن الكريم في نظرية المنهاج النبوي عند الأستاذ عبد السلام ياسين)، والمقام في إسطنبول (1–2 ديسمبر) عام 2012م، ومن أبرز الدراسات التحليلية التي تناولها المؤتمر يذكر منها: قضية تحرير المرأة في نظرية المنهاج النبوي للأستاذ عبد السلام ياسين للدكتور علي مفتاح، والقرآن الكريم وقضية المر أة في نظرية المنهاج النبوي عند الأستاذ عبد السلام ياسين للدكتور أحمد مبارك، وتجديد النظر في قضايا المر أة المسلمة من خلال نظرية المنهاج للدكتورة وفاء توفيق والرؤية القرآنية لتحرير المر أة وتنويرها من خلال نظرية المنهاج للأستاذة جهاد الصافي.

إلا أ ن الدراسات السابقة في حدود علم الباحثة افتقرت إلى دراسة تحليلية برؤية تربوية إسلامية لفكر عبدالسلام ياسين في قضايا المرأة المفردة في كتابه "تنوير المؤمنات" وهو ما تميزت به الدراسة الحالية، حيث ركزت الدراسات السابقة على الكليات الفكرية للأستاذ عبدالسلام الواردة في كتابه "المنهاج النبوي" فقطدون الخوض في الجزئيات كُلاً على حدة، بالإضافة إلى أنها اشتركت في تأكيدها على مركزية القرآن الكريم في فكر عبد السلام ياسين وهو عنوان المؤتمر.

وفي ضوء ما سبق جاءت الدراسة الحالية لتبين فكر الأستاذ عبد السلام ياسين، في قضية المرأة من خلال كتابه تنوير المؤمنات. وعليه تضمنت الدراسة ثلاثة مباحث، وهي كالآتي:

المبحث الأول: التعريف بالمفكر عبد السلام ياسين والسياق الذي برز فيه الكتاب

المطلب الأول: نشأة المفكر وملخص حياته

المطلب الثاني: آثاره ومؤلفاته العلمية

المطلب الثالث: السياق الحضاري الذي برز فيه الكتاب

المبحث الثاني: الأبعاد التربوية لشخصية المرأة المؤمنة في أسرتها

المطلب الأول: الكفاءة في الزواج

المطلب الثاني: السعادة الزوجية

المطلب الثالث:المؤمنة زوجاً

المطلب الرابع: المؤمنة أماً وصانعة للمستقبل

المبحث الثالث: المرأة ومنهج التغيير والتجديد في فكر عبد السلام ياسين

المطلب الأول: مفهوم التغيير والتجديد

المطلب الثاني: مشاركة المرأة جزء مهم في التغيير والتجديد

المطلب الثالث: مبادئ راسخة في التجديد

أولاً : تزكية النفس (الجهاد)

ثانياً : اقتحام العقبة

ثالثاً : التدرج في تدريب النفس على التغيير

مشكلة الدراسة وأسئلتها

نظراً لما تكتنف قضايا المرأة من دراسات متنوعة المشارب الأيديولوجية وتأثيراتها على البنى الفكرية والثقافية في مناقشة تلك القضايا؛ جاء اختيار فكر عبد السلام ياسين في رؤيته الوسطية المعتدلةبعيداً عن الإفراط أو التفريط؛ وعليه تتحدد مشكلة الدراسة في إبراز الرؤية الفكرية لأبرز قضايا المرأة التي ناقشها المفكر في كتابه تنوير المؤمنات.

وبذلك تحاول الدراسة الحالية الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما ملخص حياة المفكر عبد السلام ياسين والسياق الحضاري الذي برز فيه كتابه "تنوير المؤمنات"؟
2. ما الأبعاد التربوية لشخصية المرأة المسلمة في أسرتها في رأي المفكر؟
3. ما علاقة المرأة بالتغيير والتجديد في رأي المفكر؟

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة الحالية في أهمية موضوعها والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، حيث يشكل الفكر الأصيل المجانب للاغتراب في المصدر والمنهج سيما في قضيا المرأة، سبيلاً لأن تتبوأ المرأة المسلمة مكانتها الحقيقية كما أرادها الشرع الحنيف، ومما يزيد الدراسة أهمية أن كتاب تنوير المؤمنات محل الدراسة، يعد من أمهات كتب المفكر في التقسيم المنهجي لمؤلفاته كما هو مبين ومدرج في مكتبة عبد السلام ياسين الإلكترونية؛و عليه من المتوقع للدراسة الحالية أن تفيد الجهات الآتية:

1. الباحثين في الدراسات الفكرية حيث تشكل الدراسة الحالية مرجعاً من مراجع الدراسات السابقة لها.
2. المهتمين بقضايا المرأة ومشكلاتها، بمنظور تحليلي موضوعي، حيث ترشد الدراسة الحالية إلى المنهجية الوسطية في الاستناد إلى توجيهات الوحي ومراعاة ظروف الواقع الاجتماعي والثقافي، عند تقديم الحلول والرؤى.

3. مراكز الإرشاد الأسري، والمؤسسات المعنية بتطوير ورفع كفاءة المرأة المسلمة زوجاً ، وأماً ، وصانعة لأجيال المستقبل ومساهمة بقوة في التغيير الإيجابي للمجتمع.
4. الوعاظ والدعاة إلى الله تعالى، وذلك باسترشادهم بمنهاج التزكية الذي قدمه المفكر في تحقيق التغيير الإيجابي للسلوك الإنساني.

منهجية الدراسة

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الاستنباطي، الذي يبنى على تتبع فكر الأستاذ عبد السلام ياسين من خلال كتابه تنوير المؤمنات، واستنباط الأفكار الرئيسة للقضية محل البحث؛ وتكوين صورة كلية شاملة تتناغم مع فكره الأصيل.

حدود الدراسة

اقتصرت الدراسة الحالية على بيان فكر عبدالسلام ياسين فيما يتعلق بالأبعاد التربوية لشخصية المرأة في أسرتها بأبعاللكفاءة في الزواج، والسعادة الزوجية، والمؤمنة زوجاً ، والمؤمنة أمـ ـاً ومربية لأجيال المستقبل، كما اقتصرت على تحليل فكره في نظرته إلى الدور الذي تتبوؤه المرأة في التغيير والتجديد، وا ٍبراز المبادئ اللازمة لذلك من: تزكية النفس، واقتحام للعقبة، والتدرج في تدريب النفس على التغيير.

خطوات الدراسة

تتلخص أبرز خطوات الدراسة بما يأتي:

1- قامت الباحثة بقراءة كتاب تنوير المؤمنات في جزئيه قراءة تحليلية عميقة، استقرأت من خلالها تسلسل الرؤى الفكرية المطروحة في قضايا المرأة.
2- في ضوء ما سبق تم تحديد مفردات الدراسة محل النظر والتحليل.
3- القيام بتصنيف مفردات الدراسة إلى ثلاثة محاور رئيسة شكلت البنية النظرية للدراسة.
4- الاستشهاد بالنقول الحرفية للمفكر ووضعها بين علامتي تنصيص، واستنباط دلالاتها التربوية في كل مفردة من مؤدات الدراسة.
5- التوصل إلى مجموعة من النتائج.
6- تم وضع مجموعة من التوصيات في ضوء نتائج الدراسة.

المبحث الأول: التعريف بالمفكر عبد السلام ياسين والسياق الذي برز فيه الكتاب

يتضمن هذا المبحث شرحاً وافياً لحياة المفكر وأبرز آثاره ومؤلفاته، بالإضافة إلى السياق الحضاري بكل مستوياته الذي برز فيه كتاب تنوير المؤمنات.

المطلب الأول: نشأة المفكر وملخص حياته

ولد بمراكش عام 1928م، من أب بربري ينتسب إلى أسرة عريقة من الأشراف الأدارسة تُدعى "آيت بهي"، أصلهم من سوس من منطقة تُسمى"أولوز"، وتوفي في إبريل عام 2012م، عن عمر يناهز (84)عاماً، ولرحلته العمرية تاريخ قد لا يتسع المقام لتفصيلها، وإنما تقديم ملخص لأبرزها منذ طفولته وحتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وقد قامت الباحثة بتقسيمها إلى ثلاث مراحل هي:

- الإعداد العلمي التعليمي
- الإعداد المهني الوظيفي
- الإعداد الإصلاحي الفكري (نقطة التحول)

وسيتم بيان ما سبق على الترتيب:

الإعداد العلمي التعليمي: ويشمل مسيرة المفكر في تعليمه الابتدائي والثانوي، حيث تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة بحي الرميلة، كان أسسها العلامة محمد المختار السوسي، رحمه الله، وكان فيها أساتذة يمتازون بروح وطنية عالية، وغيرة على اللغة العربية والعلوم الشرعية، وبرز نبوغه في سن مبكرة فقد كان سريع الحفظ والاستيعاب، وحفظ القرآن الكريم وأتقن أصول اللغة العربية، وكان يقرض الشعر وهو ابن الثانية عشرة، أما في المرحلة الثانوية فقد ميز هذه المرحلة نبوغه في التحصيل الدراسي، حيث التحق بمعهد ابن يوسف، وكانت العادة أن يمتحن التلاميذ قبل الدخول لتحديد مستوياتهم، واستطاع عبد السلام ياسين، بعد هذا الامتحان، أن يربح ثلاث سنوات ويلتحق مباشرة بالمرحلة الثانوية. وفي سنة (1947م) وبعد حوالي أربع سنوات في المعهد الديني، التحق المفكر عبد السلام، وعمره آنذاك تسع عشرة سنة، بمدرسة تكوين المعلمين بالرباط، وتخرّج منها، بعد سنة، محتلا المرتبة الثالثة[1].

الإعداد المهني الوظيفي: عمل في سلك التعليم لمدة 20 سنة تدرج خلالها في مجموعة من المناصب التربوية والإدارية العالية، لقد ترقى الأستاذ ياسين في سلم الوظيفة، طيلة عشرين سنة ابتدأت من عام 1947م، من معلم، إلى مفتش، فمدير لمدرسة المعلمين، فمفتش للتعليم الثانوي، فمدير لمركز تكوين المفتشين، حتى أصبح خبيراً في شؤون التربية والتعليم يمثل وزارة التعليم في عدة مناسبات إقليمية ودولية، وكان توقفه عن العمل في سنة 1967م[2].

---

[1] للاستزادة: راجع مكتبة عبد السلام ياسين الإلكترونية.

[2] للاستزادة: راجع مكتبة عبد السلام ياسين الإلكترونية.

الإعداد الإصلاحي الفكري (نقطة التحول): هنا بدأت عند المفكر الحياة العملية بالانتقال من حصيلة المخزون الفكري والمعرفي الذي حصل عليه، محاولاً إخراجه إلى حيز التنفيذ، وهذه عادة المفكر الحق، وبعد مراجعة عميقة لحياته سيما الإصلاحية[1]، ارتأت الباحثة تقسيمها إلى عدة مراحل كالآتي:

- التحاقة بالزاوية البوتشيشية، واصطحابه لشيخ الزواية الحاج العباس القادري، وكان هذا قد بدأ تقريباً في عام 1965م ولازمه حتى وفاته، وظهرت آثار هذه الصحبة والملازمة في حياته الروحية، في سياق نصحه للعلماء وجرأته في الحق، إلا أن المفكر بعد هذه التلمذة في الزاوية بعد وفاة شيخها الحاج العباس، بدأ يلحظ بعض الانحرافات الخارجة عن المنهج النبوي، فانتقل إلى مرحلة تالية.
- مرحلة محاولة الإصلاح داخل الزاوية، عبر طريقين، وهما: البدء من الداخل، حتى إذا عجز انتقل إلى جهاد الكلمة وهو القلم، ولم يقصد المفكر كما لمهمه البعض ترأس الزاوية بعد الشيخ العباس بدلاً من حمزة ابن الشيخ، ويمكن اعتبار رسالة" الإسلام أو الطوفان"؛ إعلاناً عن نهاية مرحلة الانتماء للزاوية البوتشيشية عام 1972م، وبذلك انتقل إلى مرحلة تالية أوسع في الإصلاح، وهي مع الحكام.
- مرحلة جهاد الكلمة بمستوى أوسع من الزاوية وهم الحكام: وظهر ذلك في كتابه: "الإسلام بين الدعوة والدولة" وفي رسالة "الإسلام أو الطوفان" الشهيرة، التي كتبها للملك الحسن الثاني، ناصحاً ومبشراً ومنذراً، ورسالة "القرن"، حتى إنه في إحدى الرسائل كان قد جهز كفنه معها؛ لعلمه أن الإصلاح قد ينتهي بالموت الجسدي وليس المعنوي، فكلمة الحق أعلى وأسمى. أما عن ردة فعل السلطة فقد كانت بالسجن وتلفيق التهم، وقد سجن ثلاث سنوات من 1974م-1978م، وقابل ذلك بالإنتاج الفكري داخل القضبان، فقد بقيت أفكاره تنمو وتزدهر رغم صعوبة الظروف، فما هذه الإرادة التي لا تقهر.
- مرحلة جمع المريدين حوله ومن يتبنى فكره: وهذا مر بمراحل فتور متعددة، إلا أن اللافت في النظر عزيمته وتصميمه في إبراز فكره، فعندما باءت الجهود التي قدمها لخطاب السلطة، ثم النخبة بغير ما رجى، توجه إلى خطاب العامة، عبر إصدار مجلة الجماعة عام 1979م، ولنتفكر في تسلسل الخطاب لديه من السلطة ثم النخبة ثم العامة، أي البدء بطبقة المسؤولية ثم

[1] للاستزادة: راجع مكتبة عبد السلام ياسين الإلكترونية.

المثقفة وأخيراً العامة؛ على اعتبار أن التغيير يحتاج إلى سلطة تتبناه، ومثقفون يدعمونه ولا يحولون بينه وبين الوصول إلى العامة.

-مرحلة توحيد الأحزاب والجهود الإسلامية في المغرب، ولكن بدون إقامة كيان حزبي له وا نما اعتماداً فقط على وجوده الفكري الذي يؤمن به، وكان ذلك خلال الفترة (1979م-1981م)، لكن باءت هذه الجهود بالفشل، فاتخذ سبيلاً آخر أدرك أنه من غيره لا يكون المقصود، وهو تأسيس الكيان الحقيقي الذي سيؤسس منه الدعوة، وهو حزب "أسرة الجماعة" الذي بدأ بقرابة 30 رجلاً، وكان ذلك في الفترة (1981م-1983م). وبشكل طبيعي أن نبحث ردة الفعل، على أثر ذاك التأسيس للحزب، وهي السجن سنتان من (1983م-1985م)، ولكن الحزب كان قد لاقى رواجاً وانتشاراً، وخلال فترة السجن ألَّف كثيراً من الكتب، منها: نظرات في الفقه والتاريخ. وبعد خروجه خلال الفترة (1985م-1989م) كانت جماعته قد شهدت أكبر توزيع وحضور، وأثناء تلك الفترة عام 1987م، تم تغيير اسم الحركة من (أسرة الجماعة) إلى (العدل والإحسان)ورفع شعاراً لها.

- مرحلة الحصار: وبدأ الحصار الجزئي، ثم الشامل على المفكر، من عام 1989م ولغاية 15 مايو 2000م، أي حوالي 10 سنوات، حوصر فيها في بيته، ومنع من الخروج.

المطلب الثاني: آثاره ومؤلفاته العلمية

كان رحمه الله من أصحاب العلم الموسوعي، الذين لم تقف تطلعاتهم إلى النهل من ينبوع صغير أو رافد نحيل، بل امتدت أنظارهم التي توازي طموحهم إلى بحر العلم في غزارة التدفق وعمق النظر، فكان له من كل فن بطرف، فقد أحب الشعر والأدب والنثر، وتطلع إلى علم اللغات، فأتقن الفرنسية والإنجليزية من خلال بعض زملائه في المعاهد، غير متناس أن رسالته الأم تنصب على تزكية النفوس، وتهيئتها للتغيير والتجديد والإصلاح، نحو حاضر ممنهج ومستقبل أسمى، حتى إن العقبات التي ركز في كتاباته على اقتحامها، لم ينسأن يوصي نفسه بها فكراً وعملاً، إذ السجن أو التغريب أو الحصار لم يكن عقبة معضلة الاقتحام في وجهه، بل اقتحمها ليكون ذلك سبيلاً لميلاد فكر جديد في كثير من الكتب والمؤلفات، ومنها:

- نظرات في الفقه والتاريخ
- مقدمات في المنهاج
- الإسلام والقومية والعلمانية
- الإسلام وتحدي الماركسية
- الجزء الأول من كتاب الإحسان

أما التقسيم المنهجي لمؤلفاته فيظهر كما تم تقسيمها في مكتبة عبد السلام ياسين الإلكترونية على النحو الآتي:

المطلب الثالث: السياق الحضاري الذي برز فيه الكتاب

صدر الكتاب في شهر ذي الحجة من سنة 1416 هـ، الموافق لشهر إبريل 1996م، وكان قد قدمه المفكر هدية فكرية لعائلته وأبنائه وحفيداته بمناسبة عيد الأضحى المبارك، ويركز فيه على أم القضايا، وهي مصير العبد إلى ربه[1]، ويتألف الكتاب من مجلدين.

وبالإمكان تحديد السياق الذي برز فيه الكتاب في أكثر من بعد، ولكن تلقي الباحثة فيه الضوء على سياقين بارزين، هما: السياق الفكري والسياسي، والسياق الاعتباري.

أولاً : السياق الفكري والسياسي

وهو الذي يعبر عن فكر عبد السلام ياسين وطريقته في الطرح، غير متجانف للوضع السياسي القائم وردة فعل السلطة تجاهه، ويتضح من خلال النقاط الآتية:

1- ان الكتاب قد صدر بعد حوالي 6 سنوات من الحصار الذي فرض على المفكر في بيته في "سلا" والذي بدأ عام 1989م، فكان الموقف السلطوي من حول المفكر متأجج في شدة الغضب عليه، إلا أنه دائماً كان يرى في سجنه عبادة وفسحة فكرية لمزيد من الرسالات والإلهامات، التي تشق الطريق لنور جديد عميق، قد أخفاه ثوب ظلم السلطة تارة، وجهل العامة تارة أخرى.

إذ كان من منهجية المفكر البدء بخطاب السلطة كما في رسالته (الإسلام أو الطوفان) و كذا (الإسلام بين الدعوة والدولة)، ثم ينتقل إلى خطاب النخبة من المثقفين، ثم إلى العامة، لأنه يرى

---

[1] راجع الموقع الإلكتروني:
http://www.aljamaa.info/vb/showthread.php

للفكرة مسيرة علمية، تبدأ من لحظتها الجنينية وفترة الحمل، ثم تؤول إما إلى مخاض ومولد جديد أو إلى إجهاض لما سبق، فهو يريد من يرعى هذه الفكرة لأمد بعيد؛ فاختار ذاك التدرج الواعي (السلطة –النخبة– العامة) فكما قال سيدنا عثمان رضي الله عنه : "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"(العباد،دت: 457/23).

2- ولد هذا الكتاب بعد أن اتضحت لدى المفكر تفاصيل معالم المنهاج النبوي لتغيير الإنسان، والذي بدأت جذوره بلظهور والتشكل في كتاباته الأولى ومنها (الإسلام بين الدعوة والدولة)، وخلال فترة سجن له دامت ثلاث سنوات ونصف من عام 1974م ولغاية 1978م، فهو سلسلة من هذا المنهاج.

فالمفكر بعد أمد طويل من الأهداف الراسخة في حياته، ستكون له غاية عليا، فجاء ميلاد الكتاب بعد تنقيح وتصفية وغربلة لكل ما مضى، وبعد أن وصل فيه صاحبه إلى أوج المراحل الفكرية، وكأنه خلاصة الرسالة التي ظهرت في كتابه من خلال العنوان (تنوير المؤمنات)، فخلاصة تجربته في الحياة إنارة لطريق المستقبل؛ لأنه كان يؤمن أن المرأة جزء مهم في هذا المستقبل، وفي إنارة الطريق للمؤمنة في تزكية النفوس، وبرز ذلك في قوله في مقدمة الكتاب: "... أو اصحب صفحات هذا الكتب فالنية –صححها الله– أن ينور عقل المؤمنات والمؤمنين بعلم تزكية لنفوس مقترناً مسايراً قائداً لحركة إنصاف المرأة في قضاياها"(ياسين،دت: 6/1)، وهذا ما يسميه جهاد الكلمة؛ لأنه ينتقل بمعنى الجهاد من المستوى التربوي التزكوي إلى المستوى العملي، كما يرى في كلمة تنوير، أنه وا ن عاش في ظلم السلطة فالفكر نور؛ فإنه وا ن مات الجسد مادياً فلن يموت الفكر معنوياً .

3- برزت أم القضايا في هذا الكتاب وهي علاقة العبد بربه في قول المفكر: "متى انجمع همي وتوحد ومتى أصبحت قضيتي مع ربي أم القضايا عندئذ تأتي القضايا الفرعية في مرتبتها حيث تخدم الوسائل الغاية وحيث يلتحق الفرع بالأصل وحيث لا تغطي الشروط المشروط" (ياسين،دت: 5/1).

ويعتبر تلك القضية الأم والجوهر الأساس، الذي تتفرع عنه باقي القضايا، فيفرز مفهوماً جديداً في تقسيم العلوم إلى علوم غايات الحياة ووسائل الحياة، ويضيفها إلى المجال التربوي السلوكي، في التمييز بين الغاية والوسيلة، و الأصل والفرع، في تركيز الجهود التربوية والانطلاق بها إلى علوم غايات للإنسان؛ لأن تكون مخدومة من قبل علوم وسائل الحياة، وأن الآية إذا انقلبت كان ذلك درجاً على طريق فساد تربوي في تزكية النفوس والسلوك، وحدث التأخر.

4- إن جهاد النفس وتزكيتها بغية الارتقاء بهلن يكون على طريق مفروش بالورود وا ٍن كانت تلك نهايته، بل هو إرادة وتصميم وعقبات يتوجب اقتحامها وهو سنة الله للمجاهدين في الأرض، فالجهاد عند المفكر وفي تصوره ومفهومه يحتاج إلى رافدين مهمين، هما: الصبر والاقتحام، ولا يقوم إلا بهما، وهو يحتاج إلى همم عالية تختار هذا الطريق، إذ تغيير الفكر يحتاج إلى تحليل البنية الفكرية، ثم إعادة هيكلتها من جديد، وهذا في حد ذاته جهاد، فقد جاهد النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام 13 عاماً لأجل كلمة التوحيد، وكم من عقبات اجتازها لأجل ذلك، إلا أن النصر مع الصبر وأن مع العسر يسراً .

ويظهر هذا الفكر جلياً عند المفكر في أكثر من موطن أختار منها:

- "هل من رحلة إلى السعادة الكبرى لا يكون في طريقها عقبات ولا امتحان ولا إرادة ولا اقتحام"(ياسين،دت: 6/1).
- "رجائي فيه سبحانه أن يجعل مكتوبي هذا جلاء غمام وتنوير لعقبات الاقتحام" (ياسين،دت: 4/1).

-فتعّالي نتصفح بطائن قلوبنا وظواهر هذا العالم المو ّار على صفحات كتاب تنوير المؤمنات لنعلم أي جهاد يقبل منا ومن أين يبدأ الجهاد وكيف"(ياسين،دت: 7/1).

- "إنها طريق شاقة إنها عقبة إنها امتحان وابتلاء...إنها إردة إنها اقتحام وكلمة اقتحام تحمل معاني جساماً ... قال أهل اللغة رحمهم الله: الاقتحام توسط شدة مخيفة"(ياسين،دت: 13/1-14 بتصرف).

5- كان لا ينسى أهل بيته من خير وفيض فكره، بل لهم النصيب الأوفر، فكان هذا الكتاب في بداياته هدية لأسرته وسائر أحفاده، ومن بعدهم من باب أولى، ولكل مؤمنة راقها فكره وا ٍن بعدت عنه نسباً، إلا أن العلم والفكر رحم بين أهله، إضافة إلى ما قد يقدر لمن هم حوله بأن يحملوا هذا الفكر، وينيروا به دروب غيرهم، وقد كان دائماً يسعى لمن يحمل فكره كمن يحمل قنديلاً يضيء به دروب الآخرين وا ٍن اشرأب بهم الظلام.

6- تأثر المفكر بالأديب اللامع الرافعي، وظهر ذلك باستدلالاته بكلام الأديب المذكور في أكثر من موضع منها: رده على شبهة التعدد، التي اختتمها باستئناسه بكلام الرافعي، ومواطن أخرى كثيرة.

ثانياً : السياق الاعتباري

ويعنى به السياق غير المتغافل عن النظم العالمية القائمة، وتأثيراتها سيما الاقتصادية، مما يدل على عمق المفكر في اعتباره لتأثيرات النظم المذكورة على صناعة الفكر والقرار، وبالإمكان توضيحها بما يلي:

1- لم يغب عن ناظر المفكر أنه يوجه خطابه في ظل نظام عولمي جديد الذي ضغط العالم في قرية صغيرة، وثوبه الاقتصادي المتمثل بشيوع ثقافة الاستهلاك والنهم الشرائي، وغيره من غلبة القيم المادية على حساب القيم الأخلاقية والروحية، وتفشي ذلك يجعل المشاكل كونية وبالتالي تحتاج إلى حل كوني، فيقول: "المعارك إذاً لا تقف مهمتها في الكف والصرف وهل يمكن وكيف يمكن الكف في عالم التواصل السريع الذي أصبحت الكرة به قرية صغيرة والمشاكل أجمعها مشاكل كروية؟"(ياسين،دت: 144/1).

2- وبناء على ما سبق يلحظ تأكيد فكر المفكر في الطرح للفكرة المرادة بثنائية متكاملة، حيث إنه ينتقد الواقع الذي تحكمه عولميات الاقتصاد والثقافة الغربية، ثم يطرح الرأي والمفهوم الشرعي، لا يقف عند حد ظاهر حروف الكلمة بل يتعدى إلى دلالاتها العملية العميقة، يوظف الواقع وينتقده، ويتطلع إلى مستقبل أفضل بقراءة سننية للمصطلحات، ولذلك أمثلة كثيرة منها: في حديث «**كلكم راع وكلكم مسؤول...**» [صحيح البخاري 304/1: 853]يقرأ المسؤولية فيقول: "كلمة مسؤولية في الدارج من لغة العصر تعني شعوراً ما بالتبعة وخوف ما من لوم الناس وبحث ما عن راحة الضمير واعتزاز ما بإظهار الكفاءة على حمل الأعباء وإنجاز المهات أما معنى المسؤولية حين يلفظ بها رسول الله ﷺ ... فهو الوقوف بين يدي الله عز وجل غداً يوم القيامة ليسأل الإمام والرجل والمرأة والأب والابن ويجازوا عن أعمالهم يثابون إن أحسنوا عملاً ويعاقبون إن أساؤوا"(ياسين،دت: 267/2-268).

3- وفي سبيل تأكيد مرونة النص الشرعي وصلاحيته لكل زمان ومكان، يقدم المفكر تفسيره: التربوي والسلوكي الواقعي للنصوص الشرعية، محاولاً بشكل دؤوب إخراجها من حيز التنظير والمثاليات إلى أن يلقي بظلالها إلى الواقع، فيرى قدسية وثبات النص والحرف في حدة، وسعة معانيه وتحركها لتعبأ بحاجات كل زمان على حدة أخرى، وظهر ذلك في أكثر من موطن منها: في نقده للفقهاء بالاكتفاء فقط بالحكم الشرعي دون تبعاته السلوكية في أزمنة تغيرت ظروفها الاجتماعية والاقتصادية، يقول: "تقاتل السلطان والقرآن صُرِف المفتي والقاضي من المجال العام السياسي فتقلص الفقه تحت رادعين اثنين: ضغط السلطان الحاكم بأمره وبعد المفتي

والقاضي عن المشهد العام لهذا تقلصت الفتوى الخاصة بالمرأة مع التقلص العام والانحباس"(ياسين،دت: 85/2).

المبحث الثاني: الأبعاد التربوية لشخصية المرأة المؤمنة في أسرتها

يتضمن هذا المبحث عدداً من الأبعاد التربوية لشخصية المرأة المؤمنة في أسرتها، ابتداء من لحظة الزواج ومروراً بالعلاقة الزوجية ثم تحمل مسؤلية المساهمة في صناعة مستقبل الأمة بإعداد أجيالها، وعليه تضمن أربعة مطالب في كل مطلب عدة فرعيات، تم إيضاحها في مكانها.

المطلب الأول: الكفاءة في الزواج

بالإمكان الوقوف على ما أراده المفكر في الموضوع من خلال تقسيمه إلى عدة أمور: مفهوم الزواج عند المفكر، ومعايير الكفاءة، وهي على الترتيب:

أولاً : مفهوم الزواج عند المفكر

يقدم المفكر مفهوماً جميلاً للزواج، فحواه أنه:اقتران في الدنيا يكون سبيلاً للنجاة في الآخرة، وبذلك يطرحه في بعدين دنيوي وأخروي، واللافت في نظر المفكر تتبعه للسنة المطهرة في فكره واستشهاداته في إثبات آرائه، فهذا الفكر المستهدي بالسنة يطمئن القارىء، بل ويبعث فيه الحماس نحو التجديد في الرجوع إلى الأصل.

ثانياً : معايير الكفاءة عند المفكر

يظهر في كتابه التركيز منها على معايير، منها معيار أصيل وما عداها معايير فرعية، تختار الباحثة منها المعيار الاجتماعي، وهو ما برز في هذا الكتاب.

- **الاعتبار الأصيل: وهو للدين والصلاح والتقوى.**

يقدم كفاءة الدين والصلاح والتقوى على كل معيار، معتبراً أن ذلك سير على المنهج النبوي أو منهج السنة، ويسرد من النصوص الشرعية ما يؤكد ذلك الأصل، فيقول: "والدين والأخلاق هما معيار التكافؤ إذا اختلا أو اختل أحدهما في الرجل أو المرأة اختل توازن الأسرة والمجتمع وانفرط النسق وطاشت كفتها"(ياسين،دت: 160/1).

ولتأكيد موضوع الكفاءة من التقي يسرد المفكر قصصاً من تزويج النبي r لرجل على سور من القرآن، وأنه زوج ابنته الزهراء على درع يقدمها علي t لها سماها له النبي بالدرع الحطمية؛ أي التي تتحطم سيوف الأعداء عليها، كما في الحديث الذي يرويه ابن عباس **أنه: «لما تزوج علي رضي الله عنه فاطمة رضي الله عنها قال له رسول الله r أعطها شيئاً . قال: ما عندي. قال: فأين درعك الحطمية؟»**[سنن النسائي 130/6: 3376]، ويتضح هذا في قول المفكر فيقول: "كذ

نساء الإسلام يرضين ويطبن نفساً بالزواج من أولئك الأبطال على مهر رمزي وعلى أن يعلمهن الزوج من القرآن كان القرآن قيمة مقدرة وكان تعليمه إفضالاً وعطاء"(ياسين،دت: 157/2).

- **الكفاءة الاجتماعية.**

على الرغم من اعتباره للدين والصلاح المعيار الأصيل للكفاءة، إلا أنه لم يغفل الاعتبارات الأخرى، وبرزت عنايته في هذا الكتاب للكفاءة الاجتماعية، التي يعني بها: مراعاة البيئات الاجتماعية للزوجين، التي تحتاج إلى فترة من الصهر في بوتقة واحدة لا تتأتى إلا بالمعاشرة بالمعروف، في محاولة إلى تخطيها، فلا يكتفى فقط بالبعد الديني، متناسين ظروف الوعي بالوسط الاجتماعي، فيقول المفكر: "أو يلتقي في ساحة الدعوة شاب ملتح وشابة محجبة لا يزالان في طور المراهقة... فيتزوجان على أحسن النيات لكن على غفوة من العقل وعلى جهل بحقائق المعاشرة بين أسر متفاوتة وأوساط اجتماعية متفاوتة... فيحسبان أن الناس جميعاً من طينة واحدة وكأن الفوارق الاجتماعية الاقتصادية وكأن الذهنيات والعادات غبار ينفخ فيه فيتطاير" (ياسين،دت: 150/2-151).

ومن باب تأكيد فكرة أن المراد بالنظر إلى الاعتبار الاجتماعي هو محاولة تخطيه في النهاية، قوله: "وعلى كل حال فالشريعة تغلب جانب العقل دون أن تنبذ صادق العواطف وعميقها وساميها من تغليبها للعقل الكفاءة والوصية بها حسباناً لعامة الناس ممن لم يتخطوا عتبة الاعتبارات الاجتماعية..." (ياسين،دت: 152/2)، **ملمتكلاًم بحديث: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض. قالوا: وإن كان فيه قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ثلاث مرات** [سنن الترمذي 395/3: 1085].

وبالإمكان تلخيص الكفاءة عند المفكر وما سبق شرحه في المطلب، أن الكفاءة ميزان يرجح كفة معايير الآخرة على الدنيا، مع اعتبار الأخيرة سبيلاً للأولى؛ لتأكيد أن الزواج إن أحسنا الاختيار فيه فهو سعادة في الدنيا والآخرة، ويقول في حديث طويل: "من ثوابتنا الشرعية في الزواج الكفاءة بين الزوجين...إن وضعنا القرآن على الرف... فإن معايير الكفاءة تكون هي المال والجاه... أما إذا قرأنا القرآن وتمعنا السنة ووضعنا كفتي المعادلة والكفاءة الزوجية في ميزان ... فإن معايير الدنيا تسقط وتخلد معايير الآخرة... وكذلك كل صالح من المؤمنين يتزوج بكل صالحة من المؤمنات يسقط معيار التفاوت في السن والمال والجاه وينتصر معيار السعادة الأبدية إن غفر الله لهما ورضي عنهما فكانت زوجه وكان زوجها في الجنة"(ياسين،دت: 158/1).

المطلب الثاني: السعادة الزوجية

بعد قراءة المفكر الواعية للنصوص الشرعية المتعلقة بالزواج، وفهمه لتلك النصوص كما بثها متناثرة في الكتاب، يمكن إعادة نظم العقد الذي يمثل فكر عبد السلام ياسين في السعادة الزوجية، على النحو الآتي:

- تكتمل السعادة الزوجية وتنمو ابتداء باستقرار مفهوم الزواج قبل الإقدام عليه، وهو الزواج في منظور الشرع، الذي يعني أنه عقد وطيد وميثاق غليظ، حيث يقول: "الزواج الإسلامي ليس فقط عقداً بين أنثى لإرضاء الفطرة ولا هو استجابة للغريزة الراسخة في الإنسان فحسب بل هو عهد وطيد غليظ..." (ياسين،دت: 147/2).
- مراعاة حق الميثاق الغليظ ميثاق الزواج، وهو الميثاق المذكور في آية الصداق {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا } (النساء:21)، الوارد في زجر الرجل عن الرجوع في صداق المرأة أو أكله بالباطل، ويتبع في ذلك تفسير ابن عباس وغيره في معنى الميثاق الغليظ أنه: "كلمة الله وأمانته وعهده وشريعته وهو الإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان" الوارد في قوله تعالى: { ... فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ... } (البقرة:229)، فيقول المفكر: "هو ميثاق بين رجل وامرأة يبقيان عليه برباط المعروف أو ينقضانه بشرط الإحسان"(ياسين،دت: 138/2)، ثم تسمو معاني المفكر حين يؤكد على معنى الزواج الذي يسمو بالرجل والمرأة من معانيه المادية المحسوسة، إلى معانيه التربوية النفسية التزكوية للسلوك، فيقول في تفسيره لآية الميثاق الغليظ: "الإفضاء وصلة بين جسمين أعطاها القرآن حرمتها والميثاق عقد بين ذمتين فتلاءم الاعتباران الجسدي والنفسي القلبي ليكوّنا الميثاق ويمتناه"(ياسين،دت: 137/2).
- الوعي بالحقوق والواجبات عند كلا الطرفين ضرورة للسعادة، بل وتقديم نظرية المسؤولية على نظرية الحق والواجب، يقول: "زواج المرأة تمام رشدها وبيت الزوجية حصنها وبرجها إن خرجت من حرمة آدابه أو هجمت على الزواج وهي جاهلة بما لها وعليها من جانبي الشرع والطبع، من جانبي الخلق والتخلق، وإن هي لم تصبر وتصابر وتحمل نصيبها من مجهود التآلف والملاءمة ولا قامت بواجبها في الحافظية على الشمل أن ينتثر غامرت بحياتها"(ياسين،دت: 131/2)، ويقول في موطن آخر: "أنيط بعقد الزواج في الإسلام معان جليلة ومقاصد نبيلة ... يربطه الصدق والوفاء والعفة والمعروف والإحسان. يرعى مقتضياته ويحمل مسؤولياته الزوج الرجل

بقوامته والزوج المرأة بحافظيتها لكل منهما وعليه نصيب من آثار العقد وتكليفاته"(ياسين،دت: 139/2).

وكأني بالمفكر يتحدث بلغة المسؤولية قبل لغة الواجب، وهي نظرية نادى بها أيضاً وعاضده عليها كثير من المفكرين اليوم، سيما في قضايا التربية الإسلامية، والتميز بينها وبين التربية الوضعية ومنهم الدكتور ماجد الكيلاني، الذي يرى أن نظرية الحق تنتهي بصراع العلاقات، لأن الأطراف فيها تتوجه إلى الأخذ حتى يصبح فيها نهماً وطمعاً، في حين أن نظرية المسؤولية تعين على التواصل والتماسك(الكيلاني،2005: 107)، لأن الأطراف فيها يتوجهون نحو العطاء والبذل غير المشروط، وما يتركه ذلك من مودة ورحمة.

- من متطلبات السعادة الزوجية، العدالة المفهومة من النصوص الشرعية ومنها قصة المجادلة، حيث يقول: "أما التالون للقرآن والتاليات بقلوب حاضرة وجلة فالدرس إليهم من قصة المجادلة واسمها خولة بنت ثعلبة يتجاوز النازلة النوعية ليذكرهم بحق الزوج على زوجها وحرمتها عند ربها فيوقرها وينصفها ضعفين إلا أن يكون هو من معدن خسيس أو تكون هي لئيمة الطبع معكوسة الفطرة"(ياسين،دت: 131/2).
- ثنائية الطرح، حيث يطرح الفكرة برؤية شمولية من كل الوجوه، إذ نصف الوجه لا يعد وجهاً كاملاً، ويمكن تسمية ذلك رؤية الطائر الشمولية (view of bird)، فكما خاطب المرأة باختيار الزوج الصالح، يرى في السعادة اختيار المرأة الصالحة وعدم اللهث وراء الأجنبيات بحجة أنهن أهل كتاب، وا ن لم يبق من شروط الزواج بهن إلا اسم الكتاب المقدس، ويثني على قول الرافعي، بل يستشهد بقوله في التمييز بين المرأة والزوجة، يستشهد بقول الرافعي :("إياكم إياكم أن تغتروا بمعاني المرأة تحسبونها معاني الزوجة وفرقوا بين الزوجة بخصائصها وبين المرأة بمعانيها فلن في كل زوجة امرأة ولكن ليس في كل امرأة زوجة"(الرافعي،2007: 238/1)...)(ياسين،دت: 142/2).
- يرى من السعادة الموافقة للوجهة السننية في الزواج، السلوك السنني في الزواج، أي على سنة الله في خلقه وحكمته ومنهجه، وأن أي انحراف عن ذاك المنهج الفطري هو سبيل الشقاء في الدنيا والعذاب في الآخرة، وستختار النفوس إن شقيت الرجوع إلى سنة الله بالفطرة، فيقول ناقداً الانفلات في العلاقات بين الرجل والمرأة بعيداً عن ضابط سنة اللهفي الزواج الشرعي، في سياق كلام طويل: "...ثم –وثم اعتبارية لا زمانية– ترتفع التربية بالرجل والمرأة وييسر الله من فضله الوسائل المادية حتى يعاف المجتمع هذا السقوط الحيواني ويستبدل به الطهارة والنظافة"(ياسين،دت: 140/2).

المطلب الثالث: المؤمنة زوجاً

يضع المفكر عدداً من مواصفات المرأة المؤمنة باعتبارها زوجاً، مستقياً بذلك الهدي النبوي، وبالإمكان إجمالها بما يلي:

- المؤمنة زوجاً هي: المتبعة لسنة ربها في مراعاة مسؤولياتها، والبذل تجاه حياتها الزوجية، فتكون سبباً لسعادتها لا إلى شقائها، لذا يؤكد على ضرورة الوعي في الزواج قبل الإقدام عليه، يقول: "لعزة الزواج الإسلامي ونفاسة معانية ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يستشيروا ويتحروا قبل الاختيار لكي يجعلوا في جانبهم لا ضدهم كل شروط نجاح الزواج"(ياسين،دت: 141/2).
- ومن انطبق عليها مسمى المؤمنة الزوجة كما في النقطة السابقة، فهي الزوجة المرأة وليست المرأة الزوجة، وهذا قد سبق شرحه وبيانه، ويستشهد من جديد بكلام الرافعي فيما ينقله عنه في التفريق بين المرأة والزوجة: ("واعلم أن المرأة في أنوثتها وفتونها النسائية كهذا السحاب الملون في الشفق حين يبدو له وقت محدود ثم يمسخ مسخاً ولكن الزوجة في نسائيتها الاجتماعية كالشمس قد يحجبها ذلك السحاب بيد أن البقاء لها وحدها والاعتبار لها وحدها ولها وحدها الوقت كله"(الرافعي،2007: 238/1)) (ياسين،دت: 142/2).
- الزوجة الحافظية: وهي المسؤولة بمعاني عميقة يراها المفكر، ولإيضاحها بالإمكان طرحها عبر النقاط الآتية: والمتلخصة بطرح المفهوم في ظل قضية تكامل وشمولية المهام بين الزوجين، ومن ثم الإيضاح المقاصدي والتربوي للمعاني العميقة للحافظية والتي تشمل جميع الدوائر في الحافظية على النسب بالعفة والأولاد بالتعهد والتربية، ثم تتسع الدائرة لتشمل كل معاني المسؤولية أمام الله عز وجل مع النفس ومع الآخرين، وأن ما سبق كله لا يتأتى إلا بحفظ الدين والعقل، وهو ما سيتم بيانها في السطور الآتية:

الحافظية في ظل قضية تكامل وشمولية المهام بين الزوجين.

ينطلق المفكر في الحديث عن هذه القضية من الآية الكريمة: { الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ } [النساء:34]، حيث يوازن بين القوامة للرجل والحافظية للمرأة، في كلام بديع يؤكد التكامل الوظيفي لهما في قوله: "لا شك أنها مهمة كبيرة تلك التي تعدل بين قوامة الرجل وحافظية المرأة ليحمل الرجل والمرأة عبئها هذه المهمة هي عبادة الله تعالى... في أداء هذه المهمة وفي التعاون على تمام الرحلة وسلامتها يتكامل حضور أحد الرفيقين وغيابهما حضوره هو الفطري في مجالات الكسب والمدافعة والسعي على العيال يغيبه عن مجالات إن لم تحفظها المرأة ضاعت...قبل أن ننظر في مجالات غيابه

وحضورها نقف عند كلمات قرآنية هي المفتاح والدليل إلى توزيع المهام وتكاملها وشمولها"(ياسين،دت: 82/2).

ثم يؤكد المفكر أن النظرة التكاملية للوظائف الزوجية تنفي الفكر النزاعي أو الصراعي في الأدوار، بما ينأى عن أحدهما أن يفكر في انتزاع وظيفة الآخر، أو أن يعتبر وظيفته الأساسية صورة من صور الغبن أو الظلم، فيقول: "لا تنازع الحافظية القوامة بل يعيش بعضها في كنف بعض ... والقوامة قرينة الحافظية... للرجل مكانه وللمرأة مكانها لتزدوج وتنسجم في المجال السياسي القوة والأمانة كما تزدوج وتنسجم القوامة والحافظية في الحياة الزوجية"(ياسين،دت: 271/2)، وبذلك يوسع المفكر مفهوم التكامل بين الرجل والمرأة، حيث لا يقتصر على داخل البيت فقط، بل وفي خارجه أيضاً، استكمالاً لسنة الله في الذكورة والأنوثة، باعتبارها آية من آيات الله تعالى في الأنفس.

المفهوم التربوي والمقاصدي الواسع للحافظية عند المفكر

هذا المفهوم الواسع الذي يشكل حلقات متداخلة ومترابطة يبدأ بالنفس، مروراً بالأسرة، وتنتهي بالأمة، في ظل رقابة الفرد أمام ربه عز وجل، وبما أن المبحث يتركز في هذا المقام على المرأة في أسرتها، فتشمل حافظيتها بذلك: النسب والنفس بالعفة والإحصان، ومال الزوج، والأولاد بالتربية والإعداد.

استقى المفكر مصطلح الحافظية من قوله تعالى: { . . . حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ } فيقول: "أي أن حافظية المرأة هي تحمل ما كلفها به الشرع... حافظيتها إذاً لا تقتصر عل حفظ حقوق الزوج بل تشمل كل حقوق الله المكلفة بها الزوج حافظية الصالحات القانتات في المجتمع المسلم لا تقتصر على شغل بيوتهن وا ٍرضاء أزواجهن بل تنطلق أولاً من إرضاء الله عز وجل وترجع إليه"(ياسين،دت: 82/2).

ويقول في حفظ الفروج والعفة والإحصان: "أمر الله سبحانه المؤمنات والمؤمنين بحفظ فروجهم ليكون التساكن بين الزوجين اطمئناناً مبنياً على الثقة ولتكون العفة فضيلة أساسية في خلق الرجل والمرأة ودعامة اجتماعية لدينهما"(ياسين،دت: 70/2)، كما يقول في حافظيتها على النسب: "أنفس ما تحفظه نساء الأمة أنساب الأمة لأن لفيفاً من اللقطاء لا يسمى أمة إذ لا جامع بين مخلوقات فيه منفصلة الروابط"(ياسين،دت: 83/2).

الحافظية بحفظ الدين والعقل

إن ما سبق من شتى صنوف الحافظية لا يتأتى إلا بالأصل، وهو حافظيتها على الدين ثم العقل، وذلك بأن تلجم شهواتها بلجام الدين وتلجم جهلها بلجام العقل، فهي المؤمنة اليقظة والفاضلة القوية، ذلك المصطلح الأخير الذي استخدمه بعض المفكرين (الكيلاني،2005: 21).

ولا تتم حافظيتها على النسب والمال والولد إلا بالدين ثم تعهد العقل، حيث يقول: "قرأنا حافظية المرأة على النسب وعلى نفسها وهما متلازمان ثم حافظيتها على مال زوجها بقيت ضروريتان مما عند إمام فقد المقاصد –يقصد الشاطبي– حفظ الدين وحفظ العقل هل ينحفظ شيء من أمانات النساء إن لم يكن إيمانهن باعثاً وعقلهن مدبراً؟"(ياسين،دت: 84/2).

ثم يؤكد على تعهدها بالدين ولجم جهلها بالعلم، بقوله: "لكن أين هي من مجالس العلم ومدارس التفقه في الدين؟ أين هي من المشاركة الفعالة في الحياة الاجتماعية وفي الجهاد وفي الاقتصاد كما كانت الصحابيات يشاركن؟"(ياسين،دت: 92/2)، وقوله: "حبس المرأة تعطيل وتجهيلها تمكين لأيدي عدو– وهو الجهل– من مقوماتنا"(ياسين،دت: 93/2).

المطلب الرابع: المؤمنة أماً وصانعة للمستقبل

يدور فكر المفكر في هذا الموضوع حول نقطة مركزية، هي منهاج المسؤولية البشرية عن صلاح الأجيال وفسادها، مستنداً إلى الحديث النبوي الشريف: «إِذَا انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ نَجْتَلِبُ عَوْلِهِ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »[صحيح مسلم 73/5: 4310]معتبراً أن الولد هو من العمل المحاسب عليه، بصيرورته صالحاً أو فاسداً كأي عمل آخر يحاسب عليه، والمرأة هي حضن التربية والإعداد للأجيال، فصدق شاعر النيل حافظ إبراهيم، حين قال في قصيدته (العلم والأخلاق)[1]:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيا بالري أورق أيما إيراق
الأم أستاذ الأساتذة الألى شغلت مآثرهم مدى الآفاق

ويعضده قول معروف الرصافي(الرصافي،دت: 71/1):

فحضن الأم مدرسة تسامت بتربية البنين أو البنات
وأخلاق الوليد تقاس حسناً بأخلاق النساء الوالدات

(1) للاستزادة ببقية الأبيات، راجع الموقع الإلكتروني:
http://Ar-encyclopodia.blogspot.com

وليس ربيب عالية المزايا كمثل ربيب سافلة الصفات

ويتضح فكر المفكر فيما تم شرحه بقوله: "أول علمنستفيده من هذا الحديث الكريم هو أ ذ الولد من عمل الإنسان ...إذا استقر لدينا... أن الذرية–صالحة أو فاسدة– هي من عمل الإنسان لا ينفي كونها خلقا لله كونها عملاً للإنسان فقد توجه أمامنا عظم مسؤولية الإنسان عن ذريته: تصلح إن أصلحها وتفسد إن أساء تنشئتها فيترتب على هذا المنطق المستنير بنور الوحي ونور التوجيه النبوي منهاج المسؤولية البشرية عن صلاح الأجيال وفسادها"(ياسين،دت: 193/2).

ثم ينتقل بنا المفكر إلى الحديث عن تمام المسؤولية الوالدية، بقوله: "فإن كمال المرأة الوظيفي وكمال الرجل أبوين مسؤولين مربين هو غاية ما يراد منهما تحقيقه حفظاً لفطرة الله ونشراً لرسالة الله وخدمة لأمة رسول الله ما يرفع المرأة إلى القداسة إلا أمومتها وما يرفع الرجل إلا أبوته يُ ذكر حقهما بعد حق الله مباشرة في قوله تعالى: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... } (الإسراء:23)"(ياسين،دت: 193/2).

إلا أنه فيما بعد يركز الحديث على الأمومة، وكعادته يطرح الأمومة السوية والأمومة المشوهة؛ لاعتبارات يراها ضرورية للتركيز على تلك الأمومة، منها:

– حضورها الأشمل والأقرب للولد في التنشئة في حال غياب الزوج للكسب.

– أنها مصدر الإنجاوحضنه، وعلى تربيتها تعول صيرورة الذرية بين الكم العَدِي أو النوع العُدَدِيِ.

فيقول ناقداً: "إن دوران الحديث في الأوساط النسوية من بنات الدنيا... حول حقوق المرأة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحول سعادتها الزوجية دون اعتبار أمومة المرأة والمغزى السامي للأمومة إنما هو دوران على غير محور..."(ياسين،دت: 194/2) لأنه يرى المرأة دون أمومة راشدة أنه: "ينقطع بعد الموت عملها إن لم تخلف ذرية صالحة إن لم تساهم في بناء الأمة إن لم توظف كمالها العلمي والخلقي والقلبي في صنع مستقبل أمتها واكتفت بكونها معبراً لبروز الذرية ومحطة لمرورها"(ياسين،دت: 194/2)، وبذلك يسلط المفكر الضوء على ضرورة استغلال قدرات المرأة العلمية وسائر كفاءتها؛ لصنع أجيال المستقبل، لا تقف فوائدها عند حدود الزمان والمكان والعدد.

ويربط المفكر قوة الأمة والأسرة بالأمومة، في حركة دائرية تُستنتَج من حديثه، يمكن تمثيلها كالآتي:

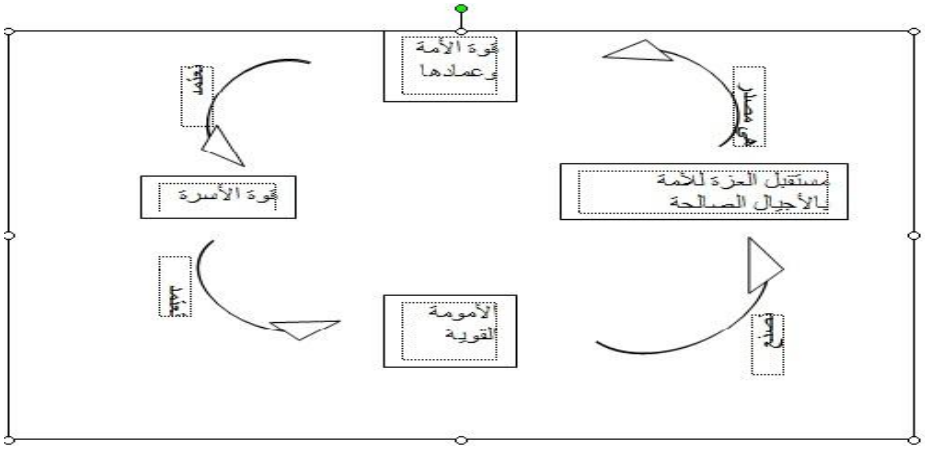

وتظهر الصورة السابقة بقوله: "إن الأسرة القوية عماد الأمة القوية والأم المربية المصلحة عماد الأسرة"(ياسين،دت: 195/2)، "أقوى ما تستقوي به الأمة متانة بناء الأسرة والمتانة أمومة مصونة مستقرة في بيت مدرسة أهم ما نعد لهم من قوة أمومة مبرورة برةٌ مربية تصنع مستقبل العزة للأمة"(ياسين،دت: 194/2).

الأمومة بين الكم والنوع

ينظر إلى الأمومة مع أجيال الحاضر والمستقبل كماً ونوعاً، جامعاً بين حديثي : المكاثرة والغثائية، وهما **تَلِدُ الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ** »[سنن أبي داود 2052/2، وتحديثه **يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ** »[سنن أبي داود 184/4: 4299].

يقول: "إن قرأنا حديث المكاثرة دون أن نعرضه على حديث الغثائية قصر فقهنا واندفعنا في الدعوة إلى تأييد انحطاط الأمة جيلاً بعد جيل من حيث نظن أننا ندافع عن السنة وندعو إليها"(ياسين،دت: 197/2)، ولكن الجمع الحقيقي هو: "وما يجب على الأمهات المؤمنات من تكثير نوعي قوي لا غثائي عالة على أمة متسكعة متسولة"(ياسين،دت: 198/2)، ويقول: "التكثير في النسل مطلوب شرعاً والولد الصالح ذخر للأمة في الدنيا ولوالديه في الدنيا والآخرة"(ياسين،دت: 196/2)، "وعلى المؤمنة واجب أن لا تضع غثاء ولا تتسبب في التكثير الأرنبي بينما غيرها يربي صقوراً ونموراً "(ياسين،دت: 202/2).

ويتضح مما سبق أن المفكر ينظر إلى الأمومة الحقة بصناعة أجيال تشكل ذخراً وقوة وعماداً للأمة وهذا هو النوع، وتلك هي الأمومة التي نتجرأ على تسميتها بالأمومة السننية، وا ٍن انحرفت عن جادة الصواب فهو الإنتاج العددي الكمي مفرغاً من المتانة والقوة.

معوقات الأمومة السننية

وهنا يرى المفكر أن مذهب اللاييكية في التجرد من الدين ومناهضته، ومحاولة تقليد النموذج الغربي، له اليد الطولى في ذلك، عبر وسائل ظاهرها استرحام المرأة، وباطنها نقض عرى قوة الأمة، ومنها:

أ- المحاولات الحثيثة في تحديد النسل بحجة النظرية المالتوسية وغيرها، يظهر ذلك في قوله: "الإطار الموضوعي لقضية الإنجاب وتحديد النسل هو الثورات الصناعية العلومية التي تخطى في بلاد الغرب إلى تخوم الخيال ... الإطار هو الفلسفات الغازية بالإعلام والنضال السياسي اللاييكي...الذي تدعمه قوى الانحلال الداعي إلى استغلال المرأة اقتصادياً ووجودياً وتشغيلها في صنع حضارة مماثلة للحضارة الأم الحضارة المطلقة"(ياسين،دت: 196/2).

ب- تفريغ الأمومة من معانيها السامية، والانشغال باستقلال المرأة اقتصادياً ، وبالتالي إضعاف إسهام المرأة في القيام بواجبها في صناعة أجيال المستقبل، ويلقي بالأطفال في أحضان المر بيات: "في الأسرة الذرية المنسوجة على منوال المجتمع الأوروبي المتكونة من زوجين وذريتهما مقطوعين ممنوعين يتولى الخدم تربية الأطفال أعني أنهن يتولين تدمير الأطفال..." مستكملاً أن: "مصير الطفل المحضون المدلل بين أيدي العجائز –يقصد الأسرة الممتدة– أحسن حالاً من الطفل الملقى إلى أيد أجيرة يشوهن خلقه النفسي ما شاءت لهن كراهية وضعهن البئيس ونقمتهن وبؤسهن"(ياسين،دت: 208/2).

ج- الأمومة الخالية من العلم والفقه المزدوج بالغاية من الخلق والتفكر في آيات الله والكو ن والأنفس، وبذلك يؤكد على ضرورة البناء العلمي والعملي السلوكي للأم قبل التنشئة: "يجب بناء الأمة على أساس علمي بفقه مزدوج واجتهاد ذي عينين واحدة تتلقى من الوحي واجبها والأخرى تستفهم آيات الله في الكون عن مغزى بلائها وما وضع الله عليها..." (ياسين،د ت: 202/2)، ومن البناء العلمي العملي إ ادة العلم الصالح بعد العلم به: "الأم المريدة وجه ربها الخائفة منه... المتعلمة العالمة بما لها وما عليها ممَّا رسمته لها شريعته والعاملة على ذلك هي الأس ومنها البناء"(ياسين،دت: 203/2).

المبحث الثالث: المرأة ومنهج التغيير والتجديد في فكر عبد السلام ياسين

يتضمن هذا المبحث توضيحاً لمفهوم التغيير والتجديد، واعتبار المرأة جزء مهم في هذا التغيير المنشود كما يراه المفكر، وأخيراً يضم المبحث عدداً من المبادئ الراسخة للتغيير، ما اختير منها وذكر إنما هو على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

المطلب الأول: مفهوم التغيير والتجديد

يرى المفكر أن التغيير: هو نقلة نوعية من حال الانحراف عن جادة المنهج القويم، وذاك الانحراف قد ظهرت آثار عجزه عن الاستمرار، أو برزت ترهات نتائجه بإثبات الفشل في استمراره.

كما يرى أن التغيير سنة لله في خلقه حتى يصلوا إلى المنهاج القويم، وأن للتغيير سنناً، تبدأ دوافعه بالإرادة والعزم والصبر؛ لأن لكل تغيير عقبات، وأنه يبدأ من الداخل بتغيير النفوس إلى الخارج، وكأنه في ذلك يحاكي فكر مالك بن نبي في طرحه لمبدأ القابلية للاستعمار.

وتم استنتاج ما سبق ذكره من جملة النصوص الآتية للمفكر:

- "أحموقة في الدين وجهل بمعنى الجهاد وتخل عن السلاح وخوض في الباطل إن نحن قاومنا الطاغوت الخارجي وفينا في نفوسنا طاغوت الهوى يصول ويجول لا ندري كيف نعالج سطوته بل لا نعي أي شيء يستبد بنا: أهو الغضب لله والاستجابة لنداء الله أم هي غريزة الدفاع و المقاومة والتكتل ضد الظلم التي يستوى فيها الناس على صعيد الوطنية والإديولوجية والقومية"(ياسين،دت: 15/1).
- ويقول معقباً على حديث: "تكون النبوة ما شاء الله أن تكون...إلى آخر الحديث"[مسند أحمد 273/4: 18430]: "فنحن على موعد إن شاء الله مهما طال ... ومهما تعسرت الطريق وتعوصت الأسباب"(ياسين،دت: 18/1).

أما مفهوم التجديد: فلا يعنى ظاهر اللفظ من الإتيان بشيء جديد، إنما هو العودة والرجوع إلى الأصل، فيصبح بذلك التغيير والتجديد مراحل متتابعة ومترابطة، حين ينحرف المجتمع عن الصراط المستقيم يتفشى الفساد بكل مستوياته ومعانيه، فتظهر الحاجة إلى تغيير واقع الحال، وهذا الأخير مستلزم إلى جيل يقود التغيير الوجهة الصحيحة، وهي الرجوع إلى الأصل المتمثل بما دعا إليه القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهكذا يكون التجديد، يقول المفكر: "ونمر على زمن التجديد لنقف عند رجل من أعاظم الرجال وأئمة الإسلام مجدد القرن الأول عمر بن عبد العزيز الخليفة الخامس رحمه الله لنجد الرفق. كانت الأمراء من بني أمية يكيدون لابن عمهم عمر ويعدون العدة لإسقاطه كراهة لما يصلح من شأن الأمة وما يرد من ظلامات ارتكبها جبابرة الملوك من قبله"(ياسين،دت: 57/1).

ثم يؤكد معنى التجديد بأنه التعلق بعهد التنزيل والتأسيس، رداً على بعض المشككين في حتمية الرجوع لإنقاض واقع الحال الأليم، والذين أطلق عليهم المفكر اسم الإسلامولوجيون حيث يقول: "يلومنا المشككون في الدين من الإسلامولوجيين أننا حين نتعلق بعهد التنزيل والتأسيس إنما نتعلق بتاريخ أسطوري جمَّله في خيالنا الحنين إلى المثال الرفيع ونحن في الحضيض ونشدان صور القوة ونحن ضعفاء والتسلي بذكريات النصر ونحن مهزومون"(ياسين،دت: 61/1).

المطلب الثاني: مشاركة المرأة جزء مهم في التغيير والتجديد

يرى المفكر أن المرأة جزء مهم في عملية التغيير والتجديد، فهي كما سماها جزء من القوة الاقتحامية الجماعية في المجتمع، وهي التي تربي النشء على الاقتحام وتجاوز العقبات، يقول: "لو أصبح المسلمون فرداً فرداً على أتقى قلب واحد منهم ولو اجتهدوا في الأعمال الصالحة الفردية ما اجتهدوا ثم لم يؤلفوا قوة اقتحامية جماعية تكون المرأة فيها فعالة لفاتهم فرداً فرداً درجة الجهاد ثم لفات الأمة ما فاتهم ولتردت الأمة بترديهم عن الدرجة العالية ولتبدد حاضرها وضاع مستقبلها بتبدد إرادتهم وتشتتها. ألفنا فيما قرأناه من الأدبيات الإسلاميةأن نتحدث كثيراً عن حال الأم ومصيرها مفصولين عن حال المؤمنات والمؤمنين في الآخرة"(ياسين،دت: 17/1).

ويستفيض المفكر في تفصيل فضائل مشاركة المرأة في التغيير والتجديد، ومنها: أن ما سبق ذكرهما من القوة الاقتحامية، وتربية النشيء على الاقتحام، يحتاج معهما إلى تدر ج ولين ورفق ويسر، وكل هذه المعاني التي وردت في الأحاديث النبوية ترويها وتنقلها لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي امرأة، فيقول:"ما بال أحاديث التدرج والرفق واللين واليسر تر يها امرأة؟".

ويستشهد على ضرورة إشراك المرأة في عملية التغيير والتجديد بقدوتهن من الصحابيات في العصور الأول عصور النهضة، وأن بعض ملامح التقاعس للمرأة اليوم، لا تعبر عن الصورة الحق للمرأة في الإسلام، فيقول: "فأين همم النساء بعد نحو قرن من الهجرة؟أين تلك النهضة التي أبرزت خديجة أم المؤمنين، وسمية أول شهيدة في الإسلام، وعائشة العالمة...من أخمد تلك الجذوة؟ من أطفأ ذلك النور؟من هبط بالمرأة من معاني الحياة السامية النابضة بالقوة السخية بالعطاء إلى حضيض واقع الجواري في القصور"(ياسين،دت: 60/1).

ثم يستكمل حديثه بأن الفتن التي أبعدت الناس عن تعاليم المنهاج الإسلامي الحق، كان لها من سلطة الظلام ما كان؛ لتنأى بالمرأة عن أن تكون من السابقين بالفضل في النهضة كما كانت الصحابيات، فيقول: لا نجد بعد عهد النبوة والخلافة الراشدة ذكراً للنساء بفضل وكأن الفتن التي ابتلعت من الرجال أنفة الخضوع للسلطان الجائر عقمت النساء من الفضائل التي كان يتحلى بها الجيل الباني المشارك الحي من الصحابيات رضي الله عنهن"(ياسين،دت: 61/1).

المطلب الثالث: مبادئ راسخة في التجديد

أولاً : تزكية النفس(الجهاد)

يرى المفكر أن من متطلبات تغيير واقع الحال الخارجي البدء بالتغيير الداخلي، وهو ما يسميه تزكية النفس، وهذا الفكر يؤكده تاريخ المفكر في التحاقه ببعض الزوايا الصوفية والتزامه مشايخها، ويرى أن التزكية من مراتب الجهاد، ويعني بها تطهير النفس عما لا يليق طهراً يوصلها إلى مراتب عليا في القرب والطاعة والعمل الدؤوب المخلص، فهي تصفية من شوائب النفس وعوالقها؛ بغية الارتقاء، يقول: "لتتسلك الحركة على ضوء علم التزكية في نظام عمل التزكية. تزكية نفسي وتطهير قلبي الذي ألقى به الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم"(ياسين،دت: 6/1)، ثم يكمل خلاصة تزكية المؤمنة بقوله : "وعبادة جوارحك في مسلك نوراني ينير الحلك ويرفعك من مهاوي الدوابية إلى طهر الملك"(ياسين،دت: 6/1).

وفي الحقيقة الكلام الذي يطرحه المفكر في الارتقاء، هو في صميم علم التربية الإسلامية، الذي يرفع شعار تنمية السلوك الإنساني وترقيته؛ ليتحقق فيه قوله تعالى: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ... } (الإسراء:70)، وهو الشعار الذي تتضافر جهود التربويين لتحقيقه(الكيلاني،2009: 33). ثم يؤكد فكره ذاك في صفحات أخرى، قائلاً : "والأخت الصالحة مدعوة لكسب الفضائل ومقاومة الرذائل وامتلاك القوة الإيمانية الإرادية لترقى صعداً في مدارج الكمال الروحي والكمال العلمي والكمال الخلقي والكمال الجهادي"(ياسين،دت: 14/1).

ويربط المفكر بين تزكية النفس وخلق الصبر، معتبراً أن من تزكية النفس الصبر؛ إذ الأخير فيه جهاد للنفس، فيقول: "صبر النفس وحملها على ما تكره من الاستقامة في طاعة الله عز وجل والانخراط في حزب الله مع عباد الرحمن الأشداء على الكفار الرحماء بينهم"(ياسين،دت: 63/1).

إلا أنه يزيد الفكرة وضوحاً حين يفصل أ ذ الصبر نوعان: الصبر على الطاعة، وعن المعصية، وليس أبلغ من هذا في التزكية، فيقول: "هذا الصبر الذي هو أبو الفضائل وأمها ما هو؟... والصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه...الصبر إذاً : صبر على وصبر عن. "صبر عن" هو الإمساك عن ما يقتضي العقل والشرع الإمساك عنه. و"صبر على" هو حمل النفس وا رغامها وا ن كرهت على أفعال وأخلاق وعبادات وأقوال يأمر بها العقل والشرع"(ياسين،دت: 16/1).

ثم يعمق المفكر في فرد مفهوم التزكية و ربطه بمفهوم الطهارة؛ لأنها كذلك عنده لها معنيان؛ جزء منها تطهير البدن (مادي)، والآخر تطهير السلوك بتطهير القل ب (معنوي)، فيقول: "لكن الغاية

العظمى المثلى من فرض الفروض ومنع المحرمات هي تطهير الأمة لتكون في العالمين شاهدة بالحق وأعلى من هذه الغاية وأبقى تطهير المؤمن والمؤمنة طهارة تصقل كيانه الروحي ليصلح للسعادة الأبدية"(ياسين،دت: 263/1) ثم يكمل قائلاً : "إن كانت طهارة القلب وصفاؤه هما الغاية فإن طهارة الجسم جزء لا يتجزأ من عملية التطهير"(ياسين،دت: 263/1).

كما يعتبر أن طهارة البدن سبيل إلى طهارة الروح والقلب وكمالهما، فيقول: "الطهارة البدنية في حد ذاتها هدف إيماني وهي متى اكتملت شروطها الشرعية وسيلة إلى الطهارة الكلية القلبية"(ياسين،دت: 264/1)، ويشرح كيف تكون الطهارة البدنية سبيلاً إلى الطهارة القلبية وتزكيتها، حيث إنها تحط من من ذنوب ما اقترف صاحبها بجوارحه، فيقول: "بعد الطهارة البدنية السهلة القليلة الكلفة تطهير الذمة من الآثام والعادات الرديئة"(ياسين،دت: 265/1).

ثانياً : اقتحام العقبة

يرى المفكر أن لكل إرادة تغيير ترجو السعادة عقبات متعددة الأوجه، فيقول: "هل من رحلة إلى السعادة الكبرى لا يكون في طريقها عقبات ولا امتحان ولا إرادة ولا اقتحام..." (ياسين،دت: 6/1).

وما دام الأمر كذلك إذن إرادة الاقتحام لتلك العقبات، تحتاج رعيلاً مهيئاً واعياً ، صبوراً ، قادراً على ذاك الاقتحام؛ لأنه ليس بالطريق السهل، بل هو طريق شاق، فيقول: "ونتأمل هنا طريق السعادة التي يسلكها المتقون عباد الرحمن إنها طريق شاقة إنها عقبة إنها امتحان وابتلاء إنها بكل المعنى الثقيل ثقلاً بليغاً لكلمة (الصبر) إنها مسؤولية..."(ياسين،دت: 13/1).

ويقول في موطن آخر: "العقبة طريق صاعد وعر أوعر ما فيه العقبة النفسية التي تعالج بفضيلة الصبر..."(ياسين،دت: 16/1)، ثم يؤكد على ضرورة بث الهمة لاقتحام المرأة لهذه العقبة، فالله تعالى يتقبل من كل المتقين ذكوراً وا ناثاً ، فالنداء القرآني بصيغة المذكر إنما هو للجميع حتى ترد قرينة تصرفه عن هذا الوجه اللغوي، يقول: "والمرأة أمام العقبة المزدوجة بين باعث يدفعها لفعل الخير وخاذل يثبطها. الخاذل عميق الجذور في الفكر والعادات... التي كسرت ثقتها بنفسها وبربها...والباعث نداء الإسلام الأصيل خفت صوته زمناً طويلاً وهو اليوم كلمة تسمعها المرأة ويسمعها الرجل فيصحوان..."(ياسين،دت: 16/1).

ويؤكد المفكر أن المرأة لا تتبوأ ملكها الحقيقي في المجتمع إلا باقتحام العقبات، وا ن تعددت مظاهرها وصورها، فهذا سبيلها للنهضة والإنصاف، وليس تقليد الغرب في قضية المساواة والتحرير، فقول مستحضراً نموذج الصحابيات: "كن الصحابيات رضي الله عنهن يقتحمن العقبة ويسندن الرجل يساعدنه في الاقتحام ... كانت المؤمنة الصالحة تقف في درجة الرجل لكي يسمو بنفسه فلا يتدحرج في خطوات الشيطان ... مساندات كن ومانعات للرجل عن التدحرج بل ومنهن من تقتحم

العقبة لا تنتظر الرجل أن يسحبها معه كما يسحب التابع. كم من صحابية أسلمت وتخلت عن المشرك الزوج..."(ياسين،دت: 1/62-63).

ويتابع النظر إلى قضية المرأة بإنصاف وتنور لا بتدهور، مؤكداً أن العادات والتقاليد البالية، من أوائل العقبات التي على المرأة أن تقتحمها، كما أن حرمانها من حق التعليم وتنمية العقل كذلك، فيقول: "على المؤمنات جهاد لاقتحام عقبات التقاليد وعوائق العقل الذي ينبغي أن لا ينقاد إلا للحق وعوائق العادات والأنانيات والذهنيات المتخلفة. قضية المؤمنات لا تحل إلا في إطار حل شامل يشاركن فيه متزعمات مع الرجال لا تابعات"(ياسين،دت: 1/63).

ثالثاً: التدرج في تدريب النفس على التغيير

إن الاستمرار في اقتحام العقبات من أجل التغيير نحو الأفضل، وصولاً إلى السعادة الكبرى يتطلب سناً كثيرة، منها: الرفق، واللين، وكذلك التدرج؛ لأن حمل الناس مرة واحدة على وضع نوعي جديد مما تأباه العقول المتعندة فكراً أو عملاً، وترفضه أحوال أصحاب المصالح، فهو إعادة بناء وهيكلية لا ترتضيه النفوس بسهولة، يقول: "في التنزيل كان الرفق والتدرج والصبر والمعاناة من لا يعتبر بالسنة العملية مفصلة في السيرة الجهادية يوشك أن يبغيها طفرة واحدة"(ياسين،دت: 1/54)، ويسرد كثيراً من الشواهد مثل تحريم الخمر، وحديث بعثة النبي r لمعاذ إلى اليمن: « **إنك تقدم على قوم أهل كتاب...فإن هم أطاعوك...**» [صحيح البخاري 2/147: 1458] إلى آخر الحديث، مؤكداً في مواضع أخرى ذكرت سابقاً، منها: أن ناقل أحاديث التدرج والرفق واللين واليسر هي المرأة؛ لأن ما تعانيفقي حياتها لتحقيق السعادة زوجاً وأمـ ـاً، مؤذن بأنها أفضل من يحسن ويتقن ذلك.

ويعد التدرج بصوره المتعددة مبدأ تربوياً أصيلاً في عملية التعليم والتعلم(خوالده وعيد،2003: 76)، وفي تعديل السلوك وتغييره ضمن ضوابط ممنهجة، وعليه يبين المفكر أن من فقه التدرج مراعاة حُوال الناس وقدراتهم في فهم هذا التغيير وا يجابيته؛ لأنه من جهل شيئاً عاداه، فيقول: "ولو أننا نغفل المعاناة والصبر والتحمل وفضائل التدرج ووقائع الأخطاء التي عالجها رسول الله r في أقر ب الناس إليه وفي الأعراب الجفاة"(ياسين،دت: 1/61)، ويقول في موطن آخر، مؤكداً على ضرورة التدرج بالتغيير، سيراً على هدي المصطفى عليه السلام: ".. لكن فاتك العلم بناموس الله في التدرج وفاتك الدرس النبوي ومثال النبي الرسول r الذي سجد لله ثلاثة عشرة سنة عند الكعبة يعلوها ويحيط بها ويسكن جوفها أكثر من ثلاثمائة صنم"(ياسين،دت: 1/100).

النتائج

بعد قراءة فكر المفكر عبد السلام ياسين في كتابه تنوير المؤمنات، خلصت الباحثة إلى الاستنتاجات الآتية:

1- أن الكفاءة في الزواج هي ترجيح معايير الآخرة على الدنيا، مع اعتبار أن الأخيرة بكل ما فيها تسخير للآخرة، ونيل للسعادة في الدارين.

2- تتحقق السعادة الزوجية بعدة أمور، منها: استقرار مفهوم الزواج الشرعي قبل الإقدام عليه، ومراعاة حق الميثاق الغليظ، تقديم نظرية المسؤولية على نظرية الحق والواجب، والموافقة للوجهة السننية في الزواج.

3- يفرق المفكر بين المرأة والزوجة، كما يطرح مصطلحاً استقاه من النصوص الشرعية سماه الزوجة الحافظية، وهي التي ترعى حق الله تعالى ومسؤولياتها في كل ما كلفها به الشرع، سواء مع نفسها أو أسرتها أو مجتمعها، وأن المعاني السامية للحافظية لا تتأتى إلا بحفظ الدين والعقل.

4- يطرح المفكر صورة الأمومة السننية وتأثيرها في صنع مستقبل الأمة، وأبرز معوقات تلك الأمومة في ظل الأنظمة الوضعية.

5- يرى المفكر أن المرأة صنو الرجل في التغيير والتجديد، باعتبارها جزءاً من القوة الجماعية الاقتحامية لذاك التغيير، وعلى حضنها تتربى الأجيال على درجة الاقتحام.

6- إن للتغيير والتجديد مبادئ راسخة منها: تزكية النفوس، واقتحام العقبة والتدرج في تدريب النفس على التغيير.

وفي ضوء استنتاجات البحث، توصي الباحثة بالآتي:

1- الدعاة ومؤسسات التربية؛ بإدراج منهاج التزكية الذي فصله المفكر ضمن مناهج التربية الإسلامية سواء المنهجية أو اللامنهجية.

2- القائمين على مؤسسات الإرشاد الأسري والعناية بقضايا المرأة؛ بإعداد برامج بناءة لتطوير كفاءة المرأة، بعيداً عن صيحات دعاة التنمية الحداثيين في حسر تنمية المرأة وتبوء مكانتها في المجتمع بقضية الإنجاب فقط، وذلك بمحاولاتهم الحثيثةفي الحد من النسل لاعتبار النظرية المالتوسية وغيرها، وهذا من معوقات الأمومة السننية التي فصلها المفكر.

كما تقترح الباحثة:

إيلاء عدد من سنن التغيير والتجديد ومبادئه في فكر الأستاذ عبد السلام ياسين بالدراسة والبحث، إذ لم يتسع المقام في البحث الحالي لبيانها جميعاً، ومنها: اعتبار الظروف البيئية في التغيير والتجديد، والجرأة في إدراك الداء وتشخيصه قبل إعطاء الدواء؛ سيما أننا في عصر تعالت فيه أصوات المطالبين بالتغيير والتجديد، وإن اختلفت مشاربهم وأفهامهم له.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : الكتب

- البخاري؛ محمد بن إسماعيل (1987م): **صحيح البخاري**، الطبعة الأولى، دار الشعب، القاهرة.
- الترمذي؛ محمد بن عيسى (د ت): **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دط، دار إحياء التراث العربي، دم.
- ابن حنبل، أحمد (د ت): **مسند أحمد**، دط، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
- خوالدة، ناصر وعيد، يحيى (2003م): **طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها العملية**، الطبعة الثانية، مكتبة الفلاح، الكويت.
- أبو داوود، سليمان السجستاني (د ت): **سنن أبي داوود**، دط، دارالكتاب العربي، بيروت.
- الرافعي، مصطفى (2007م): **وحي القلم**، 8ج، دط، دار ابن الهيثم، القاهرة، "ج1".
- الرصافي، معروف (د ت): **ديوان معروف الرصافي**، من المكتبة الشاملة للتخريج.
- صالح، عبد الرحمن (1988م): **دراسات في الفكر التربوي الإسلامي**، 2ج، الطبعة الأولى، دار البشير، بيروت، "ج1".
- العباد، عبد المحسن (د ت): **شرح سنن أبي داوود**، من المكتبة الشاملة للتخريج.
- الكيلاني، ماجد (2005م): **ثقافة الأسرة المعاصرة**، الطبعة الأولى، دار القلم، دبي.
- الكيلاني، ماجد (2005م): **رسالة مفتوحة إلى الفتاة المسلمة في عصر العولمة**، الطبعة الأولى، دار القلم، دبي.
- الكيلاني، ماجد (2009م): **فلسفة التربية الإسلامية**، الطبعة الأولى، دار الفتح، عمان.
- مسلم بن الحجاج (د ت): **صحيح مسلم**، دط، دار الجيل، بيروت.
- النسائي، محمد بن عيسى (1986م): **سنن النسائي**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
- ياسين، عبد السلام (د ت): **تنوير المؤمنات**، 2ج، الطبعة الأولى، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، "ج1" و"ج2".

ثانياً : المكتبات الإلكترونية

- مكتبة عبد السلام ياسين الإلكترونية.
- المكتبة الشاملة للتخريج.

ثالثاً : المواقع الإلكترونية

- الموقع الإلكتروني:

http://www.aljamaa.info/vb/showthread.php

- الموقع الإلكتروني:

http://Ar-encyclopodia.blogspot.com